الفصل الثامن عشر

كسينوفون

كتبنا هذا الفصل ليكون ضرباً من الترويح ، وينبغى أن يقرأ بهذا الروح وقد يغفل الباحث فى تاريخ العلم — بمعناه الدقيق — الحديث — عن كسينوفون ، أو يمر به مرّ الكرام فى فقرة واحدة. ولكننا إذا أدخلنا فى حسابنا التربية العامة education (وإنا لنود ذلك بلا نزاع) فلا بد أن نفسح له مجالاً أرحب . حقًّا إنه لم يحاول تحسين التربية فى زمانه فقط ، بل أثر فيها تأثيراً قويًّا خلال الأجيال المتأخرة ، المتأخرة جدًّا ، حتى يمتد أثره إلى عصر اليزابث ، أو عصرنا نحن . هذا إلى أنه تابع عمل ثوسيديدس ، وكان من أبر تلاميذ سقراط . وفى عهده بلغ النثر الأثينى — وليد العصر الذهبى — حد الكمال ، والنثر من الأدوات الأدبية المدهشة ، وقد عالجه كسينوفون فى فن ممتاز .

ولد كسينوفون بن جرياوس حول عام ٤٣٠ ، وتوفى فى قورنثية فى منتصف القرن الرابع . وذكر ديوجينس لائرتيوس عنه ما يأتى[1] : «وكان كسينوفون ممتازاً من وجوه كثيرة ، أبرزها غرامه بالخيل والصيد وفن القتال ، هذا إلى أنه كان رجلا صالحاً يحب أن يقرب القرابين ويمارس الشعائر الدينية ، كما كان تلميذاً وفيًّا لسقراط » . وهذا الوصف القصير بارع ، وتكمله قصص تعيننا على معرفة أى طراز من الرجال كان . ومن هذه القصص ما يذكره ديوجينس مثلا عن مقابلته لسقراط : « يقال إن سقراط التقى به فى الشارع ، فسد عليه الطريق بعصاه وسأله أين يمكن أن يشترى الإنسان حاجات الحياة الضرورية . فأخبره بأمكنتها ، ثم سأله سقراط : وإذا أراد الإنسان أن يكون فاضلا فأين يذهب ، فلم يحر جواباً . وعندئذ قال سقراط : اتبعنى لأرشدك » . أليست هذه قصة بديعة إنها توحى بأنه كان لدى سقراط من نفاذ البصيرة ما يجعله يعرف الرجل الصالح

حين يراه . وتؤثر فينا هذه القصة تأثيراً أعمق ، لأنها تذكرنا كيف دعا المسيح بطرس وأندراوس ، ويعقوب ويوحنا ، وكيف لبوا دعوته واتبعوه .

كان كسينوفون ثريًّا يستطيع أن يشبع ذوقه فى الركوب والصيد ، ولعله اشتغل فى فرقة الفرسان بأثينا . ولكنه لم يكن ذا حرفة معينة ، ولذا استطاع سنة ٤٠١ أن ينضم إلى جيش من مرتزقة الإغريق فى حركة قورش الثانى ضد أخيه الملك

ΤΑΔΕ ΕΝΕΣΤΙΝ ΕΝ ΤΗΔΕ ΤΗ ΒΙΒΛΩ.

Ξ ενοφῶντος Κύρου παιδείας.	βιβλία	η'.
Τ ου αὐτοῦ ἀναβάσεως.	βιβλία	ζ'.
Τ οὗ αὐτοῦ ἀπομνημονευμάτων.	βιβλία	δ'.
Τ οὗ αὐτοῦ κυνηγετικός.		
Τ οὗ αὐτοῦ ἱππαρχικός.		
Τ οὗ αὐτοῦ περὶ ἱππικῆς.		
Τ οὗ αὐτοῦ λακεδαιμονίων πολιτεία.		
Τ οὗ αὐτοῦ ἀθηναίων πολιτεία.		
Τ οὗ αὐτοῦ οἰκονομικός.		
Τ οὗ αὐτοῦ ἱέρων.		
Τ οὗ αὐτοῦ συμποσιον.		
Τ οὗ αὐτοῦ περὶ ἑλληνικῶν.	βιβλία	ζ'.

HÆC IN HOC LIBRO CONTINENTVR.

X enophontis Cyri pediae.	Libri	VIII.
E iuſdem anabaſeos.	Libri	VII.
E iuſdem apommemoneumaton.	Libri	IIII.
E iuſdem uenatonia.		
E iuſdem de re equeſtri.		
E iuſdem de equis alendis.		
E iuſdem lacedæmonum. reſp.		
E iuſdem athenienſium. reſp.		
E iuſdem œconomica.		
E iuſdem hieron.		
E iuſdem ſympoſium.		
E iuſdem de græcorum geſtis.	Libri	VII.

شكل ٨٦ — لاتوجد صفحة عليها عنوان أول مجموعة مؤلفات كسينوفون ما عدا هذا الفهرس بالمحتويات . والعناوين (لا الكتب نفسها) مترجمة إلى اللاتينية . (عن النسخة المحفوظة بمكتبة جامعة هارفارد)

ارتخشارشا Artaxerxes . وغلب قورش وقتل فى معركة كوناكسا Cunaxa ، واضطر الجيش الإغريقى أن يلتمس طريقه إلى بلاده ناجياً بنفسه ، وانتخب كسينوفون رئيساً له بعد مصرع قادته ، ونجح فى قيادة « العشرة آلاف » إلى طرابزون. وفى أوائل عام ٣٩٩ سلم ما بقى من الجيش إلى قائد إسبرطى كان موجوداً فى ذلك الوقت بآسيا . ونفى حول ذلك الوقت من مدينته وكان يستحق هذا النفى *. ثم استمر فى خدمة إسبرطة وأصبح صديقاً معجباً بأجسلاس (ملك إسبرطة ٣٩٩ — ٣٦٠) وكان من أحسن قواد الإسبرطيين وأشرفهم ، وحارب كسينوفون الفرس تحت قيادته ، وعاد معه إلى اليونان ، واشترك (فى الفرقة الإسبرطية) فى معركة كورونيا Coroneia[٢] . وتزوج كسينوفون أثناء ذلك ، وبلغ أولاده عام ٣٩٤ من العمر ما يسمح لهم بتلقى العلم فى إسبرطة . ووهبه الإسبرطيون فيما بعد ضيعة كبيرة فى سكيلوس Scillus على مقربة من أوليمبيا . وفيها عاش عيشة ملاك الأرض يدير أملاكه ويركب الخيل ، ويصطاد ، ويكتب . وقد ألف معظم كتبه خلال العشرين سنة التى أقامها فى سكيلوس . ومن المؤكد أنه كتب أفضلها هناك ، ونعنى رسالته فى زحف الجيوش Anabasis ، وذلك بين عامى ٣٧٩ و ٣٧١ . ثم أدت تقلبات الحرب إلى فقدانه ضيعته واضطراره إلى بدء حياة جديدة فى قورنثة . وفى عام ٣٦٩ وقع الأثينيون صلحاً مع إسبرطة وسمحوا لكسينوفون بالعودة إلى موطنه . وقد خدم أولاده بين حين وآخر فى جيش فرسان أثينا[٣] .

لم نذكر جميع أعمال كسينوفون الحربية ، إلا أنه من الواضح أنه اكتسب كثيراً من التجارب كفارس وجندى . وهو لم يكتسب ذلك فى تقهقره المشهور حين كان شاباً من كوناكسا إلى البحر الأسود فحسب ، بل باشتغاله أيضا فى خدمة أعداء بلده . وكان من أشد المعجبين بالتعليم فى إسبرطة وما فيها من نظام ، وكتب بعد موت أجسلاوس عام ٣٦٠ رسالة فى مدحه .

---

* السبب فى نفيه من أثينا أنه انضم إلى عدوتها إسبرطة — المترجم —

مؤلفات كسينوفون :

مؤلفات كسينوفون[٤] متعددة وغزيرة (شكل ٨٦) . وباستثناء كتاب منها أو كتابين ، لا يمكن أن يكون قد ألفها قبل نشاطه الحربى (٤٠١ — ٣٩٤) وهى لهذا تقع ولا شك فى القرن الرابع . وقد ألف كثيراً منها فى سكيلوس (٣٩٤ — ٣٧١) ، ولكنه ظل يكتب حتى الأيام الأخيرة من حياته . وسنستعرض فوراً وبسرعة ثبت مؤلفاته ، مع بعض الملاحظات التى تهم مؤرخ العلم .

ونبدأ بمجموعة من ثلاثة كتب (١ — ٣) تتعلق بالصيد والفروسية ، إذ من المفروض أن أولها كتبه فى شبابه قبل خروجه من أثينا إلى آسيا .

١ — فى الصيد (Cynegeticos) ، وهى رسالة تعرض للصيد ، وبخاصة صيد الأرنب البرى . وتشتمل على تربية الكلاب . وهى أول رسالة من نوعها معروفة لنا .

٢ — فى ركوب الخيل (Peri hippices) . وكان يظن أنها أول رسالة فى هذا الموضوع فى أية لغة ، حتى نشر هرونزى عام ١٩٣١ رسالة حيثية عن الفروسية[٥] ، كتبها رجل يحب لحم الخيل ، وله فى الفروسية تجربة طويلة .

٣ — فى الفروسية (Hipparchicos) ، وتبين الواجبات التى ينبغى أن يعرفها قائد الفرسان ، وهى تتمة للموضوع السابق ، وتبحث فى تطبيق الفروسية من جميع وجوهها فى الأغراض الحربية .

ويعرف قرّاء الفرنسية كتابى كسينوفون (٢ ، ٣) عن الفروسية بسبب ترجمة رائعة قام بها بول لويس كورييه (١٧٢٢ — ١٨٢٥) . وكان كورييه يكتب الفرنسية بطلاوة ، وكان فارسا وهلينستيا على حد سواء .

أما أشهر مؤلفات كسينوفون فهما الكتابان الخاصان بالأمور الأسيوية (٤ ، ٥) .

٤ — زحف الجيوش (Anabasis (Cyru Anabasis) (شكل ٨٧) . وهو عرض أعظم مغامرة فى حياته ، واشتراك عشرة آلاف جندى من المرتزقة فى ثورة قورش

الأصغر ، وانسحابهم إلى طرابزون ، ويعد أول تاريخ من نوعه ، ولا يزال يعد من أهم المذكرات الحربية . وهو كذلك أول وصف للبلاد التى اجتازوها ، فى

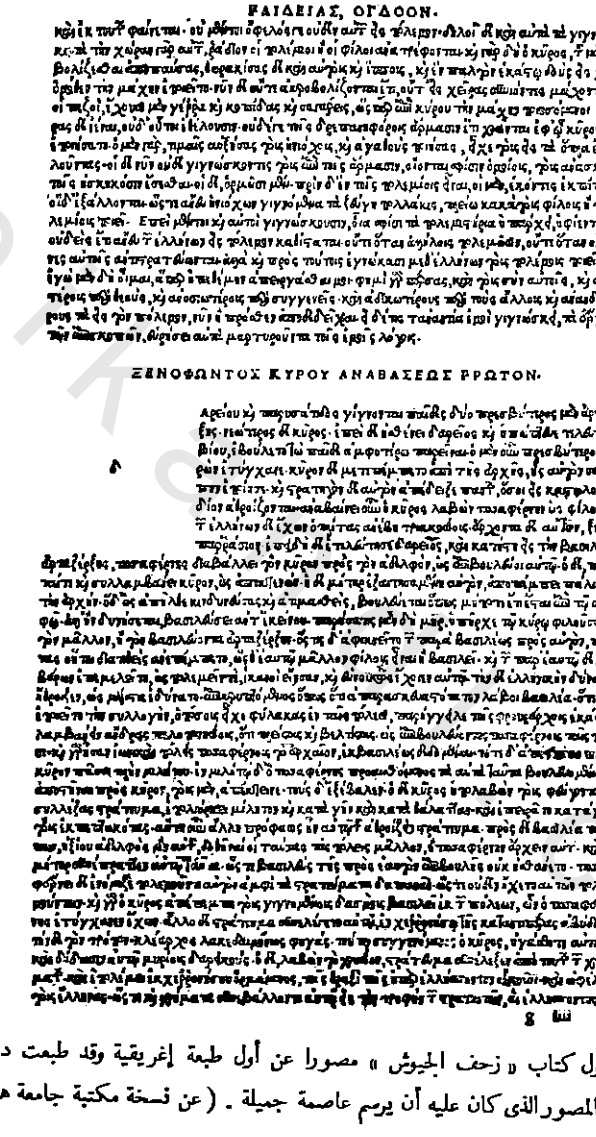

ΞΕΝΟΦΩΝΤΟΣ ΚΥΡΟΥ ΑΝΑΒΑΣΕΩΣ ΡΡΩΤΟΝ.

شكل ٨٧ — أول كتاب « زحف الجيوش » مصورا عن أول طبعة إغريقية وقد طبعت دال (صغيرة فى المربع لترشد المصور الذى كان عليه أن يرسم عاصمة جميلة . (عن نسخة مكتبة جامعة هارفارد)

Harvard College Library
Bowie Collection
Gift of
Mrs. E. D. Brandegee
Nov. 9, 1908.

FRANCISCI PHILELFI PRAEFATIO IN XENOPHONTIS LIBROS DE CYRI PAEDIA AD PAVLVM SECVNDVM PONTIFICEM MAXIMVM.

IV MIHI MVLTVMQ VE CV

dubium aliquid ad te scribere pater beatissime, quod uel obseruantia in te mea uel acerrio tuo grauissimoq; iudicio dignum posset iure existimari: Xenophon ille Socraticus, qui non minus ob nitorem & suauitatem orationis, quam ob doctrinæ magnitudinem atq; præstantiam, Musæ Atticæ meruit cognomentum: tempestiue se in octo his libris obtulit, qui de Cyri Persarum regis & uita & institutione, quam græci pædiam uocant: inscripti sunt: Quid enim ad summum christianæ totius & religionis & reipublicæ principem, Paulum Secundum pontificem Maximum scribi a Francisco Philelfo conuenientius poterat, quam de sapientissimi uiri & clarissimi principis rebus gestis & disciplina? Et enim cum tria sint gubernandæ reipublicæ genera, populi, optimatum, regis: quis ambigat hoc principatum cæteris antecellere: qui sub uiris prestantissimis uiri sapientia & uirtute sit constitutus? Scimus hoc nostra studia nostra oia ad finem quendam, ut appetitu bonum referri oporteret. Ita nauis gubernator portum sibi proponit: quem ubi attigerit: conquiescet. Ita medicus ipse bonam [illegible]. Ita persuasionem orator. Ita imperator uictoriam suum sibi finem statuit. Eadem quoque ratione

شكل ٨٨– ترجم فرنشسكو فيلولفوس « تربية قورش» إلى اللاتينية عام ١٤٦٧ ، وطبع هذه الترجمة ارنولدس دى فيلا فى روما عام ١٤٧٤ فى مجلد من ١٤٦ ورقة ، وهو الكتاب الوحيد الذى يمكن أن ينسب لذلك الطابع وليس فى الكتاب صفحة عنوان. أما الصفحة الأولى التى ننشر صورتها هنا فهى إهداء فيلوفوس إلى البابا بولس الثانى (١٤٦٤ – ١٤٧١)

(عن نسخة مكتبة جامعة هارفارد)

مرتفعات أرمينيا . والكتاب مملوء بتفصيلات عجيبة ، وفيه إشارات إلى النعام[٦] والجراحين فى الجيش[٧] ، والعسل السام[٨] ، والوشم[٩] ، وصناعة أهل كاليبس Chalybes[١٠] للأسلحة الحديدية ، وتجارة الكتب[١١]. ويوضح كسينوفون ، ضارباً بنفسه مثلا ، حاجة ضابط الجيش إلى أن يكون عادلا ، كريما ، تقيا ، يحب الجند ويكسب إخلاصهم . وقد كانت مشاق القيادة عظيمة فى حالته بوجه خاص ، لأن « العشرة الآلاف » كانوا جماعة متباينة كل التباين ، فهم قوم من المغامرين جندوا من كل أرض إغريقية ، أشبه بحطام بشرى لفظه اليم ، لا يجمع بينهم بقية من الهلينية ، وتثيرهم عزلتهم وسط البرابرة .

كان ذلك الجيش فى حاجة إلى قائد عبقرى يؤلف بين هؤلاء المغامرين[١٢] .

ويعد كتاب « زحف الجيوش » قطعة أدبية رائعة تكفى لتخليد مؤلفها . لكنه ليس أكثرها ذيوعا ، بل مؤلفه الذى استمر ذائعا عدة قرون كان « تربية قورش » Cyropaedia .

٥ — تربية قورش (Cyru paideia) (شكل ٨٨) عبارة عن سيرة قورش الأكبر مؤلفة تأليفا قصصياً . ونجد فيه أن نظم الفرس وعاداتهم — المفروض أنها موضوع الكتاب — أقرب إلى أن تكون نظم وعادات أهلها ، أو قل أنها أقرب إلى مثال لها بقلم شخص كان معجبا بالإسبرطيين بقدر ما كان يحتقر الفوضى الأتيكية .

إنه كتاب من أنفس كتب العالم فى الأدب ، ويمكن أن نسميه النموذج الأول لطائفة من الكتب ظفرت ببعض الذيوع فى العصر الوسيط ، مثل « مبادئ الحكم » Regimina principum وفى تعليم أبناء الأشراف De eruditione filiorum nobilium وغيرها ، وهى كتب ألفت لتثقيف أبناء الملوك والأشراف ، وتعليم حكام المستقبل واجباتهم وحقوقهم[١٣] .

ولا يصح أن نفهم كتاب « تربية قورش » فهماً حرفياً (كما كانت الحال فى الماضى) ، فإنه مملوء بالأخطاء التاريخية الممزوجة بالحقائق . ومع أن غرضه الرئيسى أرستقراطى فإن كسينوفون لم ينس أستاذه سقراط — لم ينسه أبدا — ولذلك

فالكتاب يشمل الطرق والأفكار السقراطية ، حتى ليذكر صورة بهيجة لسقراط أرمنى [١٤] . بل إنه ليشمل بعض لمحات عن آراء ديمقراطية . مثال ذلك أنه يشير (بتهكم حقاً) إلى حرية الناس فى إبداء الرأى (isegoria) ، وبشكل أكثر جدّية إلى هذه الحقيقة وهى أن « المساواة فى الحقوق فى فارس تعتبر هى العدل » [١٥] وترجع هذه المتناقضات إلى أن قلب كسينوفون كان أكبر من أهوائه . وفى الكتاب حكايات أو صور ممتعة — الكلام عن فضل الخبز على اللحم أو غيره ، لأن الإنسان لا يحتاج إلى تنظيف يديه بعد أكله [١٦] ، « الجمهورية الصغرى [١٧] وحدائق الحيوان ، أو ملاعب الوحوش [١٨] ، وخطر الثروة [١٩] ، ونظام البريد » [٢٠] ، وأقوال مأثورة مثل : « النصر فى المعارك بالأنفس لا بالأبدان » [٢١] و « يتجنب أهل الاعتبار ما يضر إذا انكشف » ويتجنب أصحاب العزم ما يضر ولو لم ينكشف » [٢٢] . ولعل هذه الحكم مقحمة على الكتاب . وأشد أجزائه تأثيراً الفصل الأخير [٢٣] وفيه يصف موت قورش ووصاياه ، ويناقش فى خلود النفس مناقشة يمكن أن توازن بـ « فيدون » لأفلاطون دون أى ضير على كسينوفون .

هذه القصة التعليمية الإغريقية (وهى أصل بعيد انحدر منه كتاب «تليماك») مملوءة بالحياة وخفة الروح مما يساعد على تعليل ذيوعها . ومع أنها طويلة بعض الشىء فإنها تصور جميع الموضوعات التى أيقظت روح الاستطلاع عند المؤلف أو أثارت انفعالاته فى مراحل مختلفة من حياته (من البلاد الأسيوية التى ارتادها ، والأجانب الذين عرفهم ، وطرق التربية ، والخدمة العسكرية وفنون الحرب ، والصيد ، والسياسة ، والتهكم السقراطى) . وإذا كان كسينوفون قد كتبها فى زمن متقدم نسبياً فهى تمهيد لمؤلفاته الأخرى . وإذا كان قد كتبها فى زمن متأخر ، وهو الأرجح فيما يبدو ، فهى تلخيص لما جاء فى تلك المؤلفات من رسائل أساسية فى ثوب رومانتيكى ، وتعدّ خاتمة رقيقة .

ولنا الآن أن نشرع فى فحص كتابات كسينوفون السقراطية (٦ — ٩) التى كتبها ، على الأرجح ، فى سكيلوس .

٦ — المذكرات (Apomnemoneumata) Memorabilia . وهى دفاع عن

سقراط وذكريات عن محاوراته . ولا نستطيع قبولها حرفيا ، ومع ذلك تقدم لنا صورة عامة عن عادات سقراط . وهى صادقة فى الأغلب ، وتصلح أن تكمل الصورة الأفلاطونية وتصححها . ونحن فى الحالين أمام ذكريات ، ولكن ذكريات كسينوفون توحى بالثقة أكثر من ذكريات أفلاطون .

٧ — الدفاع (Apologia) . وهذه أيضا تكمل العرض الذى نشره أفلاطون بهذا العنوان نفسه[٢٤] . وتكرر بعض الأجزاء ما جاء فى المذكرات .

٨ — المأدبة (Symposion) (Symposiom) . وهى تكرار آخر لمحاورة أفلاطون ، لا يمكن أن يكون عرضيا . ولامناص لنا من القول بأن « مأدبة » كسينوفون متأخرة عن « مأدبة » أفلاطون ، وأقل منها جودة أسلوب .

٩ — فى تدبير المنزل (Oiconomicos) . وهى محاورة بين سقراط وكريثوبولس تتعلق بإدارة الضياع وتدبير المنزل . ويروى سقراط ، وهو لم يكن يهتم بالزراعة وحياة الريف ، حواره مع مزارع يسمى أسكوماخوس . ومن الواضح أن آراء هذا الرجل هى آراء كسينوفون ، لأنها تبرز نموذج تفكيره من التعلق بالأرض ، والروح العملية ، وحسن الطبع ، والطيبة الواضحة .

أما مؤلف كسينوفون الوحيد الذى يضرب فى صميم التاريخ ، فهو « هلينيكا » .

١٠ — هلينيكا (Hellenica) ، ويشمل جزئين متميزين ، الأول يتابع تاريخ ثيوسيديدس من ٤١١ إلى نهاية الحرب البلويونية عام ٤٠٤ . والجزء الثانى تتمة له حتى معركة مانتنيا (٣٦٢) ، ولكن بطريقة أخرى . ويظهر بوضوح تحيز كسينوفون لأسبرطة ضد طيبة أكثر من مرة . ومع أنه وصل فى هذا الجزء إلى سنة ٣٥٨ ، فإنه لم يكمل تماما . وأكبر الظن أنه عاش عدة سنوات بعد ذلك ، ولكنه اضطر إلى التوقف عن الكتابة .

وتكوّن مؤلفات كسينوفون السياسية مجموعة أخيرة (فى غير ما ترتيب تاريخى ، ويصعب بيان التسلسل التاريخى الدقيق لكتبه) .

١١ — أجسلاوس (Agesilaos) . وهو سيرة ملك إسبرطة الذى خدمه كسينوفون وأعجب به . وقد ألف بعد موت أجسلاوس عام ٣٦٠ بمدة قصيرة .

١٢ — سياسة اللقدمونيين (Lacedaimonion politeia) . والمرجح أن هذا المديح لأنظمة إسبرطة كما وضعها لوكورجوس قد كتب قبل عام ٣٦٩ . وأضاف إلى الكتاب خاتمة بعد زمن قليل .

وهناك كتاب يشبهه عن « سياسة الأثينيين» (Athenaion politeia) كان ينسب سابقاً إلى كسينوفون ، ولكنه فى الأغلب تأليف متقدم بقلم أحد الأشراف قبل عام ٤٢٣ [٢٥] .

وكلا الكتابين بعنوان السياسة politeia ، مثل عنوان كتاب أفلاطون الذى يترجم عادة باسم الجمهورية .

١٣ — هيرون Hieron . وهى محاورة وهمية بين هيرون الأكبر طاغية سراقوسة الذى حكم من ٤٧٨ إلى ٤٦٧ ، وبين الشاعر الغنائى سيمونيدس القوسى (ح ٥٥٦ — ٤٦٨) وتعالج موضوعاً مزدوجاً : أيكون الطاغية أسعد من الشعب الذى يحكمه ؟ وكيف يظفر باحترامه ومحبته ؟ ولعل كسينوفون قد استوحى تأليف هذه المحاورة فى زمان حكم ديونيسيوس الثانى (٣٦٧) وهو الذى كان أفلاطون يأمل أن يجعل منه ملكاً فيلسوفا .

١٤ — فى الوسائل (Peri poron) Ways and means . ويشمل اقتراحات عملية لتحسين المالية الأثينية . كتبه فى أواخر حياته ، بعد أن اصطلح مع مدينته بزمن طويل .

أفلاطون وكسينوفون :

لعل قارئ الثبت السابق قد لاحظ كثيراً من العناوين تشبه أسماء كتب أفلاطون أو تذكر بها ، مثل الدفاع ، المأدبة ، الجمهورية ، وعناوين أخرى لا شك أنها مبتكرة مثل المؤلفات الخاصة بآسيا والصيد . ويكاد أفلاطون وكسينوفون يكونان متعاصرين (ولد أفلاطون قبل كسينوفون بسنتين وتوفى بعده بعدة سنوات ، إذ بلغ الثمانين من العمر على حين توفى كسينوفون فى الخامسة والسبعين) . وكان كلاهما من أصحاب سقراط ومن أعداء أثينا . وهما يشتركان

فى أمور كثيرة ، ومن الغريب أن يستعمل كلاهما ثلاثة عناوين مشتركة لمؤلفاتهما . ومع ذلك فالاختلاف بينهما أكثر من التشابه . ومما يغرينا بمتابعة هذه الموازنة أن كلا منهما كان من عظماء الرجال الذين يمثلون عصرهم وبيئتهم تمثيلاً كاملا . إنها دراسة تقوم على التباين بينهما وقد تعيننا على فهم كل منهما فهما أفضل .

تلقى كلاهما تعليماً عاما واحداً ، وكملاه بدراسات عليا فى حلقة سقراط التى كان يعقدها فى الهواء الطلق . وكان كلاهما من رجال الأدب ، وهما يعرفان معرفة كاملة ، بالفطرة والدربة على حد سواء ، أنقى لهجة إغريقية أتيكية . وتلقى كلاهما التربية السياسية التى يشارك فيها كل أثينى على أنها أمر مألوف ، إلى جانب أنهما يستويان فى فرص تعلم السياسة العملية وإن تغايرت الفرص . تهيأت لهما الفرصة أولا فى أثينا ، ثم استفاد أفلاطون من وجوده فى بلاط سراقوسة ، وكسينوفون من معرفته الوثيقة بملك إسبرطة . عاشا فى أجزاء شديدة الاختلاف من العالم الإغريقى ، ولكن طرقهما التقت أكثر من مرة ، واضطرا إلى البحث فى نفس مشكلات سياسية وأخلاقية واحدة . وأصبح كل منهما من أعداء الديمقراطية أما أفلاطون فقد ظلت عداوته فى ازدياد حتى آخر حياته ، وأما كسينوفون فباعتدال متزايد دائما ، وقد اصطلح مع مواطنيه فى شيخوخته .

كان كلاهما أرستقراطيا مع اختلاف فى الكيفية . فكسينوفون سيد من الريف ، محافظ ، بقية من السلف الصالح ، وأفلاطون مفكر متكبر ، يسن السنة ليجرى عليها غيره . وقد شرح كل منهما فكرته المثالية عن الحكومة الأرستقراطية . ولكن ما أعظم الفرق والتباين العظيم بين الملك « تربية قورش » والدكتاتور فى « الجمهورية » . كلاهما كان أخلاقياً وسياسياً ، لكن أفلاطون بالمعلم أشبه ، وكسينوفون إلى رب الأسرة أقرب . ويوحى هذا بفرق آخر يضرب فى الأعماق : أفلاطون أعزب مصرّ ، وكسينوفون زوج وأب . ويمكن أن نذهب إلى أن كسينوفون فى « تدبير المنزل » قد وصف تجربته الخاصة كزوج وأب يدير ضيعته فى سكيلوس . أما المزارع اسقاماخوس وهو الشخصية البارزة فى تلك المحاورة فهو

ولا ريب كسينوفون نفسه ، وأما زوجته المزارع ، التى لم يذكر اسمها ولكنها لطيفة بديعة فهى فيليسيا زوجة كسينوفون . ومن أعظم الأدلة على أمانة الزوج أن امرأته أكثر جاذبية من زوجها (أى منه نفسه) .

ويصوّر أفلاطون عادة على أنه مثالى رائع ، على حين ينظر إلى كسينوفون نظرة أدنى بسبب تقواه البسيطة ، ولأنه كان مسرفاً فى النزعة العملية والاتصال بأمور الأرض ، وأكثر عناية بالوصفات المفيدة منه بالمبادئ العامة . ومع ذلك كان كسينوفون عطوفاً طيب القلب ، على حين كان أفلاطون مذهبيًّا دجماطيقيًّا إلى الحد الذى يبعده عن روح الإنسانية .

ولو حاولنا أن نتصورهما فى محيطهما الطبيعى العادى ، لكان التباين أعظم ، لأن كسينوفون كان جنديًّا وفلاحا ، على حين كان أفلاطون معلما . فنحن نرى الأول وسط رفاقه فى جبال الأناضول ، أو فى ضيعته ، يركب الخيل ويصطاد الحيوانات ، ويشرف على مزارعه وكرومه واسطبلاته ، ويدبر نفقاتها . ولكننا لا نستطيع أن نتصور أفلاطون إلا متجولا فى حدائق الأكاديمية يناقش الفلسفة والرياضيات ، ويتنازع مع زملائه وتلاميذه .

وكلاهما يدين بأفضل ما يملك لشيخه سقراط . أما كسينوفون فبقى وفيًّا له حتى النهاية ، وأما أفلاطون فقد حمله زهوه على التنكر له .

كسينوفون معلماً :

مؤلفات كسينوفون مع تنوع موضوعاتها تشترك فى أمور كثيرة ، لا من جهة أسلوبها (فوحدة الأسلوب الكتابى طبيعية جداً) بل من جهة محتوياتها . فالنغمة المسيطرة عليها تعليمية ، ذلك أن كسينوفون لم يكن فيلسوفا ، ولكن كان كأستاذه سقراط معلما بالفطرة لا يصده عن التعليم شىء ، وهكذا كان يؤمن بسلطان التعليم وبقدرته على تعليم غيره . لم يكن ينظر فى الجليل الرائع ، لكن نظره فيما نظر فيه كان صادقاً . فحاول أن يفهم العالم الضئيل الذى حوله لا الكون كله ، وأن يفسره بوضوح وبساطة ما وجد إلى ذلك سبيلا . ونظرية التعليم علماً وعملا

مبسوطة فى « المذكرات » وبخاصة فى الكتاب الرابع ، وواردة عرضا فى « تربية قورش » . وقد تأثر فى نظريته لا بسقراط فقط بل بديمقريطس والفيثاغوريين وكانت جماعة منهم تقيم قريباً من سكيلوس حيث قضى عشرين سنة من أسعد السنوات وأغزرها إنتاجاً . وأكبر الظن أنه تعلم من أولئك الجيران الفيثاغوريين الحاجة إلى الغذاء الجيد والرياضة ، ومنزلة التقاليد الخلقية والدينية ، وكذلك أهمية العلوم الرياضية « وإن كان هولم يتذوقها إلا قليلا » وعنده أن الناس جميعا فى حاجة إلى حسن التدريب ، وهو ألزم لأولئك الصبيان الذين تتوافر فيهم المواهب الطبيعية . وقد أدرك كل الإدراك العناصر الثلاثة الأساسية فى كل تربية ، وهى المواهب الطبيعية physis والتعلم mathesis والرياضة البدنية ascesis . ويعيننا نقده لمن يحفظون الكتب[٢٦] على أن نتبين كثرة الكتب فى عصره ، وهى تستلزم وجود تجارة منظمة فى الكتب لا مجرد تأليفها . وهو يرى أن على الشباب أن يتدربوا على التعبير عن خواطرهم ، لزيادة ضبط نفوسهم ، وأن يلبسوا لكل حال لبوسها ، وأن يتعلموا مع التصرف الاستقلال . ويجب أن نعدّهم للمساهمة فى المناقشات السياسية والأعمال الإدارية .

وكانت غايته الأساسية كغاية سقراط ، حتى لقد أجرى وصاياه على لسان أستاذه . وكان يواصل تعاليمه أو يحاول مواصلتها ، مؤوّلاً إياها ومضيفا إليها ثمار تجربته الواسعة . وقد اهتم خاصة بالتعليم العام الذى يحتاج إليه كل متأدب كى يؤدى مهمته . ومع ذلك شعر بالحاجة إلى الملاءمة بين هذا التعليم والصفات الخاصة لكل طالب . فى الناس صفات متباينة يمكن أن نحسن كل واحدة منها بالتدريب المناسب . ومن واجب المعلم أن يتلمس الاستعدادات الحسنة ليعمل على تنميتها . ومهما يكن من شىء فالتربية الخلقية والدينية أساسية . ولا ينبغى للمعلم أن يحاول فقط زيادة المعلومات ، بل الأولى به أن يقوى روح الطالب ويكوّن خلقه .

ولا يبدو شىء من هذا مبتكراً اليوم ، ولكن سقراط وكسينوفون كانا أول

من قال به ، وعلينا أن نذكر أن كسينوفون كان يكتب فى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد ، وأن من بين مربينا من لم يفهمه بعد[٢٧] .

وظيفة الهندسة المعمارية :

يعد حوار سقراط مع أرستيبوس من أعجب أقسام « المذكرات » . فالجمال عند سقراط يخضع للهدف الذى يرغب المرء فى بلوغه . قال أرستيبوس :

« أتعنى أن الأشياء نفسها جميلة وقبيحة فى آن واحد ؟

« بالطبع — وهى خير وشر معا ، لأن ما هو خير للجموع قد يكون شرًّا للحمى ، وما هو خير للحمى قد يكون شرًّا للجموع . والجميل للعدو قبيح فى الأغلب للمصارعة ، والجميل للمصارعة قبيح للعدو . ذلك أن كل شىء خير وجميل ، بالإضافة إلى تلك الأغراض التى يلائمها أفضل ملاءمة ، وشر وقبيح بالإضافة إلى تلك التى لا يلائمها ملاءمة حسنة » .

وكذلك قوله عن البيوت ، من حيث هى جميلة ونافعة ، وما أشبهه بدرس فى فن البناء ، وما ينبغى أن يكون عليه .

وقد عالج المشكلة على هذا النحو :

إذا شاء إنسان أن يكون له بيت ملائم . أيجب عليه أن يسعى إلى أن يجعله فى الغاية من حيث الراحة والمنفعة لساكنه ؟

فلما سلم بذلك سأله : « أمن الممتع أن يكون البيت بارداً صيفاً حارًّا شتاء ؟ » .

فلما اتفقا على ذلك قال : والآن فإن البيوت ذات الوجهة الجنوبية تتخلل أشعة الشمس أروقتها شتاء ، أما صيفا فإن الشمس تسير فوق رؤوسنا وفوق السقف ، فنحصل على الظل . وإذا كان هذا الوضع أوفق ترتيب ، فعلينا أن نبنى الواجهة الجنوبية أعلى لنظفر بشمس الشتاء ، والواجهة

الشمالية أكثر انخفاضاً لندفع الرياح الباردة . وجماع القول أن البيت الذى يمكن أن يجد فيه صاحبه مأوى ممتعاً فى جميع الفصول ، ويستطيع أن يخزن فيه حاجاته وهو آمن عليها هو فى أكبر الظن أمتع البيوت وأجملها معا . أما النقوش والزخارف فإنها تحرم المرء من مباهج أكثر من التى تهيئها له » .

ثم قال إن أليق المواضع بالمعابد والهياكل هو المكان المكشوف الظاهر البعيد عن حركة المرور ، إذ من الممتع أن يتنسم المرء عبير الصلاة وهو ناظر إليها ، وأن يقبل عليها ولا شغل له إلا بالمعانى المقدسة[٢٨] .

آراء كسينوفون فى التنبؤ بالغيب :

لفتنا نظر القارئ من قبل إلى اعتقاد الأقدمين الشديد فى الخرافات وإيمانهم الجازم بالتنبؤ بالغيب . ولا مناص لنا من إعادة القول فى ذلك ، وإن كان فى الإعادة عيب التكرار لأننا لا نستطيع الوصول إلى نظرة متزنة عن حياة الإغريق الروحية إذا أغفلنا مظهراً من مظاهرها كان بالغ الأهمية عندهم بقدر ما نعرض عنه اليوم .

كان الإغريق (والرومان من بعدهم) يعتقدون إمكان تأويل معنى الأحداث الماضية والمستقبلة من النظر إلى الظواهر الطبيعية المختلفة الأنواع[٢٩] . ونجد فى كتاب « زحف الجيوش »[٣٠] أمثلة كثيرة على ثقة كسينوفون بالعرافة ، وعلى وجوب تأويل النذر إذا وقع هو فى مأزق ، لا لنفسه فقط ، بل لمصلحة جنوده كذلك ولم يكن هذا فريدا فى الأدب القديم بل مألوفا .

وقد عنى كسينوفون فى « المذكرات » عناية شديدة بإثبات أن الاتهامات الموجهة إلى أستاذه سقراط لا تستند إلى أساس ، وأن الحكم عليه ظالم . وأراد بوجه خاص أن يبين أن سقراط كان دائماً متدينا تقيًّا يشارك فى معتقدات الشعب ويقيم الشعائر المسلم بها . وكانت أكثر الشعائر انتشاراً هى تلك المتعلقة بالعرافة ،

أو التأويل التقليدى للنذر المقدسة . لذلك ضرب كسينوفون أمثلة عن اعتقاد سقراط الراسخ فى العرافة . قال :

كان يقرب القرابين دائما علنا فى غير خفاء ، تارة فى بيته ، وتارة فى هياكل المعابد الرسمية ، وكان يستخدم العرافة سرّا بعض الشىء . والحق أن سقراط عرف بأنه كان يزعم أنه يهتدى بأرواح الآلهة . وقد نشأ من هذا الزعم — فيما أظن — الاتهام بالقول بآلهة غريبة . وهو لم يقل بجديد لم يذهب إليه غيره من المؤمنين بالعرافة الذين يعتمدون على الطيرة ، والهواتف ، والفأل ، والضحايا ، وهم لا يعتقدون أن الطيور التى يصادفونها أو القوم الذين يلتقون بهم يعرفون ما يهم العراف معرفته ، ولكنها وسائل تتخذها الآلهة لترشد الناس . وكان ذلك اعتقاد سقراط أيضا .

ولما كنا عاجزين بأنفسنا عن البصر بما يوافقنا فى المستقبل فإن الآلهة تمد إلينا يد المعونة ، وتكشف للعرافين السبل ، وتعلمهم كيف يمكن الظفر بأمثل النتائج . . .

وكان سقراط ينصح كل شخص فى حاجة إلى المعونة التى تعجز الحكمة عن تقديمها أن يلجأ إلى العرافة ، لأن من يعرف الوسائط التى تهدى بها الآلهة الناس فيما يختص بأمورهم لن يعدم عون الآلهة[٣١] .

وأفضل تفسير لأهمية النذر الإلهية هو ذلك الذى قدمه قمبيز لابنه قورش الأكبر[٣٢] . فمن واجب كل إنسان ، وبخاصة الملوك : الاستجابة إلى الهداية الإلهية . ولكن كيف السبيل إلى معرفتها ؟ يحذر قمبيز ابنه من الوقوع تحت رحمة المفسرين ، وعليه أن يتعلم كيف يستطيع تأويل النذر بنفسه . ولكن كيف يستطيع المرء التأكد من صحة التأويل ؟ من الغريب أن مفكرى الإغريق لم يوجهوا إلى أنفسهم قط ذلك السؤال ، أو على أقل تقدير لم يجيبوا عنه جوابا شافيا . لأنا إذا سلمنا بأن الإرادة الإلهية قد تنطوى على أية حادثة ، فكيف

السبيل إلى الكشف على تلك الإرادة والتأكد من فهمها ؟ كيف يطيع أحدنا أمراً غير واضح ؟

ومع ذلك علينا أن نتذكر أن العقلاء لم يكونوا تحت رحمة العرافين الذين قد يكون حظهم من الغباء مثل حظهم من الخداع ، بل كانوا يؤولون النذر بطريقتهم الخاصة . وكان التحذير المهم خطيراً ونهائياً ، ويستلزم اتخاذ قرار يجب أن يكون حكيما ما أمكن : فالعلامات كان يمكن تفسيرها حسب الأهواء، وكانت تفسر عادة كذلك . والنذر رموز للقضاء الإلهى والهداية العامة . أما الهداية الخاصة فعلى كل شخص أن يقررها بضميره الخاص[٣٣] .

تهكم كسينوفون :

كان فى استطاعة كسينوفون كأفلاطون وأستاذهما سقراط أن يكون فى غاية التهكم بطريقة بسيطة . ونجد لذلك مثالا حسنا على لسانسقراط فى « المذكرات» فلكى يسخر من غباء طلاب المناصب العامة الصفر من المؤهلات الواجبة ومن خداعهم ، يقترح على أولئك الطلاب المساكين أن يخاطبوا الناخبين على النحو الآتى :

« يا أهل أثينا ، إنى لم أتعلم قط حتى الآن شيئاً من أى شخص ، فلم أسع إلى مقابلة أحد أخبرت بمقدرته على الكلام أو العمل ، ولا شقيت فى البحث عن معلم بين الذين أعرفهم . وعلى العكس تجنبت دائماً تعلم أى شىء من أى شخص ، أو مجرد التظاهر بذلك . ومع ذلك فسوف أعرض عليكم أى شىء يخطر ببالى » .

وهذه الديباجة يمكن اقتباسها بحيث تلائم منصب الطبيب العام ، ويمكن أن تبدأ الخطبة على هذا النحو :

« يا أهل أثينا ، إنى لم أدرس بعد الطب ، ولا سعيت إلى التماس طبيب بين أطبائنا ، لأننى تجنبت دائماً تعلم أى شىء من الأطباء ،

أو مجرد التظاهر بدراسة فنهم . ومع ذلك أطلب منكم تعيينى فى منصب طبيب ، وسأحاول التعلم بالتجربة فيكم » .

وبعثت هذه الديباجة الضحك فى جميع الحاضرين[٣٤] .

ويوضح المثال الثانى عرضاً أن منصب الطبيب العام أو طبيب المدينة كان موجوداً فى تلك الأيام[٣٥] . وهذا شىء من أعجب الأمور ، لأن ذلك المنصب اختفى فيما بعد، ولم يعد إلى الظهور إلا فى وقت متأخر نسبياً فى العصر الوسيط فى القرن الثالث عشر[٣٦] .

أثر كسينوفون :

كان أثر كسينوفون بالغ العظم بسبب أهدافه التعليمية من جهة ، وحكاياته الشائقة التى رواها وأحسن روايتها من جهة أخرى ، وإنسانيته ونقاء أسلوبه من جهة ثالثة . كان سمحاً ، وكان نثره من السهولة والحلاوة بحيث جعله يلقب بنحلة اتيكا . ولقد وصف كنتليان أسلوبه بهذا الوصف الحسن : « البهجة الخالصة jucunditas inaffectata، وأصبح كسينوفون بسبب هذا الوصف إماماً فى اللغة أجيالا كثيرة . وكان لهذا من ناحية أخرى ذا أثر سيئ إذ أن كثيراً من الطلبة حاولوا بغير تحضير كاف شق طريقهم فى فهم كتاب « زحف الجيوش » فشقوا بذلك وأصبحت ذكرى الدرس تؤلمهم . ومع هذا لا نأخذ بحكمهم ، على « زحف الجيوش » ولا على كسينوفون ، لأن دراسة النصوص القديمة جميعها بهذه الطريقة أضحت مثار ألم وتعذيب ، ولئن دل هذا على شىء ، فإنما يدل على ضعف الطلاب والمعلمين .

وكان أثر كسينوفون عظيما فى الزمن القديم . ولقد قيل إن كتبه التى ألفها عن آسيا ، وبخاصة « زحف الجيوش » هى التى وضحت السهولة النسبية فى معاملة الأسيويين ، وأثارت فى ملوك مقدونيا الطمع فى فتح آسيا . وأكبر الظن أن الإسكندر الشاب درس هذه الكتب . ومن ناحية أخرى كان وصف كسينوفون لمملكة آسيوية مثالية تصويراً ساحراً للمماليك الهلنستية . وكان سادة

الرومان يدرسون الصيدوتدبير المنزل والأخلاق وصناعة الحكم فى كتب كسينوفون وكانوا يجدون فيها حلولا واضحة ، فى لغة سهلة ومحسوسة ، لمعظم مشاكلهم .

وقد درست مؤلفات كسينوفون فى عصر النهضة البيزنطية . وحوكيت طريقتها الأتيكية . وكان هيرودوتس وكسينوفون النموذجين الرئيسيين الأدبيين ليوحنا سيناموس (النصف الثانى من القرن الثانى عشر) . وقد ترجمت مؤلفات كسينوفون إلى اللاتينية على يد الهلنستيين الأوائل : بوچيو الفلورنسى ، وليونارد وبرونى الأريزى ، وفرنشسكو فليلفو التولنتينى ، وقرأ أدباء الإنجليز فى المدة من ١٥٣٠ إلى ١٦٣٠ كتاب « تربية قورش » وحاولوا أن يجدوا فيه حل مشكلاتهم . فقد كان ذلك الكتاب أول قصة تاريخية فى عالم الأدب ، لم يستمتع بها ويتعلم منها الإنجليز فقط بل الفرنسيون ، والأدباء فى كل مكان متمدين من أوربا . فكان الأنيس الصامت الذى علم الناس الطريقة السقراطية والسياسة ، كما كان مقدمة شرقية ، ثم فضل عليه الناس فيما بعد كتاب « زحف الجيوش » (ولست أدرى بالضبط لماذا) ومع ذلك ظل كسينوفون من أبرز المعلمين للإغريقية وللهلنستية. وقد حقق هذا المعلم خيراً أكثر وشراً أقل مما فعل أفلاطون .

هوامش الفصل الثامن عشر

(١) ديوجينس اللائرسى ، ٢ ، ٥٦ .

(٢) هزم الإسبرطيون بقيادة أجسلاوس فى كورونيا (غرب بويتيا) عام ٣٩٤ ، حلفاً يونانياً (طيبة ، كورنثة ، أرجوس ، أثينا) ممولا بذهب الفرس .

(٣) قتل ابنه الأكبر جريلوس فى معركة مانتنيا عام ٣٦٢ . وتذهب أسطورة إلى أنه هو الذى أصاب ايبامنونداس قائد طيبة بالطعنة القاتلة . وقد تحالف الأثينيون والإسبرطيون وكثير من الإغريق فى تلك المعركة ضد طيبة . ولم يكن نصر ايبامنونداس حاسما .

(٤) كان كسينوفون على الدوام مؤلفاً محبوباً ، ومخطوطاته ، وطبعاته ، وترجمة مؤلفاته متعددة . وقد نشر لوقا أنطونيو جيونتا فى البندقية عام ١٥١٦ (ثم ١٥٢٧) أول مجموعة لمؤلفاته بالإغريقية . ونشرت طبعة لاتينية كاملة فى بال ١٥٣٤ – انظر الطبعة اليونانية التى قام بها ادجار كارديو مارشان (٥ مجلدات ، أكسفورد ، ١٩٠٠ – ١٩١٠) . وتوجد مؤلفات كسينوفون فى جميع المجموعات الكلاسيكية مثل مجموعة بوديه Budé ولوب Loeb .

انظر : Gustav Sauppe, Lexicologus Xenophonteus (156 pp.; Leipzig, 1869)

(٥) انظر الفصل الثالث هامش رقم ٦٥ . أما ترجمة كورييه Courier لكتاب الفروسية Hippiche فقد نقحها عالم فرنسى آخر مختص بالدراسات الهلنستية وبالفروسية هو إدوارد ديلباك صاحب كتاب Xenophon. De l'art equestre, (195 pp. : Paris : Les belles lettres,: 1950).

(٦) struthoi as megalai Anabasis – تؤيد الآثار وجود النعام فى العراق القديمة وفى الصين القديمة ، فلا غرابة أن توجد فى آسيا الصغرى . ولكن متى انقرضت . لقد اقتصر موطنها الطبيعى على بلاد العرب وأفريقيا – أنظر : Berthold Laufer, Ostrich egg-shell cups of Mesopotamia and the ostrich in ancient and modern times (51 pp., ill.; Chicago, 1926) (Isis 10, 278 (1928)).

(٧) Anabasis, III, 30

(٨) Ibid., IV, 8, 20-21

(٩) Ibid., v, 4, 32

(١٠) Ibid., v, 5, 1

(١١) Ibid., VII, 5, 14 – يشير كسينوفون إلى كثير من أوراق البردى التى كانت موجودة عند ساحل تراقيا على البحر الأسود معدة للشحن . وقارن هذا بالبيان الغريب الذى ذكره أفلاطون فى محاورة الدفاع ٢٦ هـ وهو أنه كان يمكن الحصول على كتب تحوى آراء أنكساجوراس بدراخمة واحدة فى الملعب .

(١٢) بالنظر إلى الأهمية العظيمة للدور الذى قام به كسينوفون فى ذلك الانسحاب الجرىء (حسب روايته) فمن الحير أن يصف ديودور الصقلى (النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد) ذلك الانسحاب دون أن يذكر كسينوفون ! (Bibl. hist., XIV, 25-30)

(١٣) ذكرت أمثلة من كثير من اللغات فى كتابى « المدخل » فى مواضع متفرقة . وكان كتاب « ثقافة قورش » نموذج التأليف للشعوب الغربية . وتوجد أمثلة قديمة فى الأدب المصرى (Introduction, vol. 3, p. 314) ولكنها ظلت مجهولة فى الغرب حتى العصر الحاضر .

(١٤) Cyropaedia, III, 1, 38

(١٥) Ibid., I, 3, 10; 1, 3, 18

(١٦) Ibid., 1, 3, 5

(١٧) Ibid., 1, 2, 6

(١٨) Ibid., 1, 3, 14; 1, 4, 5 — للموازنة بينها وبين نظائرها فى العصر القديم والمتوسط ، انظر : Introduction, vol. 3, pp. 1189, 1470, 1859

(١٩) Cyropaedia, VIII, 2, 20; VIII, 3, 46-47

(٢٠) Ibid., VIII, 6, 17

(٢١) Ibid., III, 3, 19; VIII,

(٢٢) Ibid., VIII, 1, 31

(٢٣) Ibid., VIII, 7 — وهو الفصل الأخير من النص الأصلى . والفصل الثامن الذى يصف انحلال الفرس « المحدثين » ، أى معاصرى كسينوفون ، يبدو أنه إضافة متأخرة .

(٢٤) « دفاع » كسينوفون أقصر بكثير من « دفاع » أفلاطون (بنسبة ٦ : ١٧) وأقل سمواً . وفى الاستهلال يشير كسينوفون إلى محاورات أخرى بعنوان الدفاع ، لعلها من ليسياس وثيوديكيتس ، وليس من الضرورى أن تكون لأفلاطون ، لأن دفاع أفلاطون قد يكون أكثر تأخراً . ويدل وجود هذا العدد الكثير من محاورات الدفاع على أن الحكم على سقراط بالموت كان فضيحة . ويذهب كسينوفون إلى أن سقراط تمسك بهذه الحجة ، وهى أنه من الأفضل أن يموت قبل أن يهجم عليه بؤس الشيخوخة وما تجلبه من هوان . وهو يذكر جواب سقراط على أبوللودورس الذى دهش للحكم الظالم : « أتفضل أن ترانى مذنباً » .

(٢٥) من المحتمل أن يكون كتاب « سياسة اللقدمونيين » منتحلا ، ولعله من تأليف انتستينس الكلبى — انظر :

K. M. T. Chrimes, The Respublica Lacedaemoniorum ascribed to Xenophon (Manchester : Manchester University Press, 1948) (Isis 42, 310 (1951)).

ومن الثابت أن « سياسة الأثينيين » منتحل . فقد كتب فى أثناء طفولة كسينوفون فى الفترة بين ٤٣٠ — ٤٢٤ ، وهو بذلك أقدم كتاب مطول بالنثر الأتيكى . وهو كذلك أقدم رسالة فى النظرية السياسية ، أو قل إنه أقدم نشرة سياسية . ولا يمكن معرفة اسم المؤلف . ويرى بعضهم أن كريتياس ، أحد تلاميذ سقراط الجاحدين ، وأحد الطغاة الثلاثين الذين أقامهم الإسبرطيون فى أثينا عام ٤٠٤ . وكان كريتياس خطيباً ممتازاً ، ولكن تأليفه هذا الكتاب مما لا يمكن إثباته . كل ما نستطيع قوله هو أن المؤلف كان من أشراف أثينا — انظر :

Ernst Kalinka, Die pseudoxenophontische Athenaion politeia (330 p.; Leipzig, 1913), Greek text, German translation, commentary.

(٢٦) وهذا مبين بياناً واضحاً فى حوار سقراط مع اثيديموس الجميل (Memorabilia, IV) أما فيما يختص بتجارة الكتب فانظر : Anabasis, VII, 5, 14 :

(٢٧) انظر : Armand Delatte, "La formation humaniste chez Xenophon" Bull. Acad. Belgique (lettres, 35, fas. 10, 20 pp.; Brussels, 1949).

(٢٨) Memorabilia, III 8. Translation by E. C. Marchant in the Loeb Classical Library.

(٢٩) أحسن مرجع عن العرافة لكاتب قديم متأخر بعض الشيء ، وهو لشيشرون المسمى « فى العرافة De Divinatione » ، ولكن يمكن أن نجد هذه الآراء متناثرة فى كثير من المؤلفات الإغريقية المتقدمة كثيراً عن زمانه . وتوجد مقدمة حسنة لهذا الموضوع الواسع بقلم :

Arthur Stanley Pease, Oxford Classical dictionary, pp. 292-293

وانظر الدراسات المقارنة للعرافة فى :

Encyclopedia of Religion and Ethics, vol. 4 (1912), pp. 771-830.

(٣٠) Anabasis, VI, 4; also VII, 8, 20

(٣١) Memorabilia I, 1; IV, 3, 12; IV, 7, 10

(٣٢) Cyropaedia, I, 6, 1; XVI, 44-46

(٣٣) نجد مثالا حسناً لفهم النذر فهماً عقلياً عند هوميروس (Iliad, XII, 243) حيث يقول : أفضل نذير أن يحارب المرء من أجل وطنه . cis oinonos aristos, amynesthai peri patres ولا بد أن يذكر كل إغريقى متعلم هذا البيت . فتفسير النذير يرجع إليه .

(٣٤) Memorabilia, IV, 2, 4-5

(٣٥) أطباء المدينة Ho tes poleos iatricos — وانظر الإشارات إلى المستشفيات ، والأطباء العموميين ، والصيدليات فى Cyropaedia, I, 6, 15; VIII, 2, 24 ، ولعل الضرورة إلى استخدام الجراحين الحربيين هى التى أوحت بتعيين أطباء المدينة .

(٣٦) Introduction, vol. 3, p. 1244, 1861